

مجلة المعجمية - تونس

ع 12-13

1997

## دلالة الجذر على المعنى في نظر اللغويين القدامى

بحث : زكية السانع حمداني

اللغة العربية هي إحدى اللغات السامية. وهذه اللغات تُولد فيها المفردات توليداً اشتقاقياً داخلياً من جذر حرفيٍّ موحدٍ على أساسه تنظم المعاجم وتعمل. هذا الجذر لا يمثّل وحده كلمةً منجزة قائمة الذات يمكن النطق بها لأنها تفتقر إلى الحركات. وهو مادةٌ متكوّنة من مجموعة من الأصوات الصامتة تتوزع بترتيب معيّن على الكلمات المصوّغة منه. ولكنه ليس مجرد بنية شكلية خالية من أية دلالة. إنّه يحمل المعنى العام المطلق الذي تشترك فيه كل المشتقات المتصلة به. ولقد انتبه النحاة القدامى - خاصة الاشتقاقيين منهم - إلى دلالة الأصل على المعنى، ولئن اختلف الأصل عندهم، فصاحبت كلمة معنى الأصل في تعريفهم للاشتقاق، حيث قسم الاشتقاقيون الأصل إلى طرفين متلازمين : أصل لفظي وهي الحروف الأصول، وأصل معنوي يتصل بما تحمله الوحدات المعجمية من معنى، فإنّ الدلالات عند التصريفيين متأية من الصيغ لا من الجذور (1) يشاركون في ذلك جلّ المستشرقين الذين اعتبروا الجذر بنية شكلية وحروفاً مجردة خالية من كل دلالة، الغاية منه تصنيف الكلمات تصنيفاً آلياً في المعاجم (2).

سنحاول من خلال هذا البحث أن نبيّن أن الكلام على دلالة الجذر على المعنى ليس من باب إثبات ما لا يحتاج إلى إثبات كما يزعم البعض بل هي قضية تختلف فيها القدامى والمعاصرون، وسنستند في تبرير موقفنا على مجموعة من القضايا المتعلقة بالجذر

(1) ابن يعيش : شرح الملوكي في التصريف، ص 108.

(2) يقول بروكلمان : " La racine n'est qu'une abstraction qui rend d'ailleurs de bons services "

Racines : مقاله في مقالته "pour ranger d'une façon systématique le vocabulaire ...

schèmes, p.119

والمعنى في سياق أسئلة نحاول من الإجابة عنها أن نثبت أن للجذر وجوداً لسانياً حقيقياً :

فما هي علاقة الجذر بالمشتقات ؟

ومن أين تستمد المشتقات دلالاتها ؟

وما هي العلاقة بين دلالة الجذر ودلالة الصيغة ؟

وهل للاشتراك والترادف صلة بالجذر أم بالاستعمال ؟

إن الحديث عن دلالة الجذر على المعنى ليس حديثاً عن أصل اللغة أهي توقيف أم اصطلاح، وإن احتواء الجذر على معنى مطلق يفهمه مستعملو اللغة الأم ليس انتصاراً للفكرة الطبيعية الذاتية في تكون الكلمات (3)، إذ المنطلق ليس الصوت وإنما هو الجذر، وليس الأفعال التي تعود في تكوينها إلى أصول صوتية من محاكاة الطبيعة، وإنما تشمل الدراسة كل الجذور المكونة لأصول الرصيد اللغوي العربي، ثلاثية ورباعية وخماسية. فالدراسة لا تنطلق من مرحلة النشأة بل من مرحلة اكتمال الرصيد في ذهن مستعمليه، ولا تنظر في اعتبارية العلاقة التي تجمع الدال بالمدلول وإنما تبحث في الصلات المعنوية بين الجذر ومشتقاته، وخاصة في ما يحمله الجذر من معنى أو كمي مجرد يتبادر إلى ذهن مستعمل اللغة قبل صوغ (ض. ر. ب) مثلاً في أشكال وقوالب عديدة لكل منها معنى خاص يميزه عن بقية المشتقات الأخرى من نفس الجذر.

### 1 - للجذر دلالة ودلالته تتوزع على مشتقاته :

كثيراً ما نجد كلمة معنى ملازمة للحروف الأصول عند التعريف بنظام الاشتقاق سواء كان الحديث عن الاشتقاق الصغير أو الاشتقاق الكبير، ويقطع النظر عن أصل الاشتقاق وعن نظريات المدارس اللغوية في هذا الموضوع. فالمشتق والمشتق منه حاملان لنفس المعنى العام المشترك مع إضافة دلالة خاصة بصيغة المشتق. وقد اهتم النحاة العرب القدامى بمعنى الأصل، حروفاً أو مصادر أو أفعالاً. فابراهيم بن السري الزجاج (ت. 311 هـ/923م) - فيما رواه عنه أبو بكر ابن السراج (ت. 316 هـ/928م) - كان لا يرى اتفاقاً في اللفظ بين كلمتين إلا بحث عن علاقة معنوية تجمعهما وظن إحداهما مشتقة من

(3) إنظر دي سوسير : دروس في الألسنة العامة، ترجمة صالح الفرماي ومحمد الشاوش ومحمد عجينة، ص 113 - 115. وانظر مقالاً لصالح الفرماي في آخر الترجمة بعنوان : أمهات نظريات فاردنان دي سوسير، ص 349-368.

الأخرى (4). هذه العلاقة الدلالية بين الأصل والفرع تعود في كتابات كل النحاة، فهم يعتقدون في تعريفهم للاشتقاق علاقة جامعة بين المشتق والمشتق منه أو بين الفرع والأصل. وهذا الرابطة معنوي بدرجة أولى. فالاشتقاق عند الجرجاني هو «نزع لفظ من آخر بشرط مناسبتها معنى وتركيبا ومغايرتهما في الصيغة» (5)، وهو عند أبي البقاء العكبري - وقد نقل عن أبي الحسن علي بن عيسى الرماني - هو «اقتطاع فرع من أصل يدور في تصاريفه على الأصل» (6). وأبرز ابن جنّي في تعريفه للاشتقاق الأصغر دلالة الجذر على المعنى من خلال تفسيره لنظام الاشتقاق بقوله «كأن تأخذ أصلا من الأصول فتقرأه فتجمع بين معانيه وإن اختلفت صيغته ومبانيه وذلك كتراكيب (س. ل. م) فإنك تأخذ منه معنى السلامة في تصرفه نحو مسلم ويسلم وسالم وسلمان وسلمى والسلامة والسليم» (7).

وتبرز علاقة المعنى بالجذر بوضوح ودقة أكبر في الأبواب التي تحدث فيها ابن جنّي عن الاشتقاق الأكبر الذي يتمثل في «أن تأخذ أصلا من الأصول الثلاثة فتعقد عليه وعلى تقاليبه الستة معنى واحدا» (8). فمن ذلك أصل الكلام والقول وما بجيء من تقلب تراكيبيهما مثل (ك. ل. م)، (ك. م. ل)، (م. ك. ل)، (م. ل. ك)، (ل. ك. م)، (ل. م. ك)؛ وكذلك في (ق. و. ل)، (ق. ل. و)، (و. ق. ل)، (و. ل. ق)، (ل. ق. و). فهما قلبت هذه الجذور وغيرت طريقة هيئتها فهي تشتمل دائما على معنى عام مشترك بين التقلبات الستة وهو القوة والشدة للكلام والإسراع والخفة لتقلبات القول. هذا النوع من الاشتقاق الذي تدلّ فيه الجذور ذات الحروف الواحدة والمحلات المختلفة على معنى، هو تطوير لنظرية التقلب التي طبقها الخليل بن أحمد في ترتيب معجمة كتاب العين، ثم عمل بها أبو علي الفارسي ثم تبناها ابن جنّي الذي أورد على امتداد سبع صفحات من الخصائص (9) أمثلة عديدة لجذور تربط بينها علاقات دلالية واحدة أو متقاربة رغم تقلباتها وتغير هيئاتها كجذر (ج. ب. ر) الذي يفيد القوة والشدة كيفما تقلبت حروفه

(4) السراج : رسالة الاشتقاق، ص 15.

(5) الجرجاني : كتاب التعريفات، ص 27.

(6) أبو البقاء العكبري : مسائل خلافة في النحو، ص 74.

(7) ابن جنّي : الخصائص، 134/2.

(8) المرجع نفسه، 134/2.

(9) المرجع نفسه، 134/2 - 139.

و(ق.س.و) الدال على معنى القوة والاجتماع و(س.ل.م) الذي يشتمل على معنى الإصحاب والملاينة .

إننا نتساءل أمام هذه الأمثلة العديدة : إذا كان الجذر رغم ما يطرأ على حروفه من تقلبيات وانعدام ترتيب يحافظ على معنى عام مشترك في الاشتقاق الأكبر، فلم لا يعتبر ذلك ممكناً في الاشتقاق الأصغر بين المادة ومشتقاتها فنبني على أساسه علاقة دلالية بين الجذروما يتولد عنه من مشتقات ؟

لا يختلف النحاة المتأخرون عن المتقدمين في إكساب الجذر معنى . نبيّن ذلك من تعريف ابن عصفور للاشتقاق الأصغر . فهو «إنشاء فرع من أصل يدلّ عليه» (10) . والدلالة هنا معنوية مشتركة ، ولا يخلو الاشتقاق الأكبر - وإن كان ابن عصفور يرى مثل السيوطي أنه لم يستنبط به اشتقاق في لغة العرب (11) - من الدلالة على المعنى فهو يعمل به «عقد تقاليب الكلمة على معنى واحد» (12) . وتوضح دلالة الجذر على المعنى عند ابن يعيش في شرح الملوكي في التصريف في سياق حديثه عن الأصل والفرع وما للفرع من علاقة وطيدة بالأصل كعلاقة الجوهر بالمادة ، ويقم الشارح مجموعة من التشابه بين ثنائيات عديدة وثنائية الأصل والفرع يحاول من خلالها أن يبرز مدى احتواء الأصل على المادة الأساسية التي هي المعنى المشترك . فالأصل «عبارة عن الحروف اللازمة للكلمة [ . . . ] تجري مجرى الجنس للأنواع» (13) فالأصل والفرع كالحياة للإنسان والحيوان وكالمادة للمصنوعات وكالذهب للخاتم والحلقة . والجوهر الذي يحمل نوعه في ذاته مهما تعددت صورته كالجذر الذي يحمل معناه في ذاته وفي حروفه الأصول مهما اختلفت تصريفاته ، والفرع يشترك معه في ذلك المعنى المطلق مع معنى جديد إضافي تكتسبه الصيغ التي تُبنى عليها الفروع : «فالحروف الأصول هي مادة لما يبنى منها من الأبنية المختلفة موجودة في جميعها من نحو ضرب يضرب فهو ضارب ومضروب، ف (ض.ر.ب) موجودة في جميع هذه الأبنية» (14) .

(10) ابن عصفور : المتع في التصريف 41/1 .

(11) انظر المزهو للسيوطي ج 347/1 .

(12) ابن عصفور : المتع ، 41/1 .

(13) ابن يعيش : شرح الملوكي ، ص 108 .

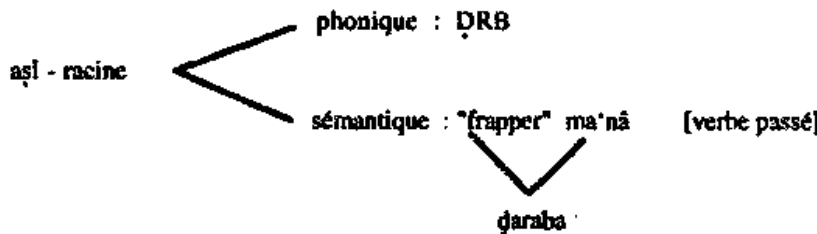
(14) المرجع نفسه ، 109 .

وأثناء تمييزه بين مفهوم التصريفين - أو أهل الصناعة حسب تعبيره - ومفهوم أرباب الاشتقاق للأصل يبرز ابن يعيش علاقة الجذر بالفرع معنوياً. فالأصل عند التصريفين عبارة عن حروف أصول تكسب وجودها اللغوي عند تحققها في صيغ عديدة حسب مقولات تصريفية (الجنس - العدد - الزمن - الشخص). فصاربة وضاربات ويضرب هي من التصريف، والتصريف هو تغيير الحروف الأصول ودورها في الأبنية المختلفة بحسب تعاقب المعاني عليها» (15). وهذه الدلالات تتأتى عند التصريفين من الصيغ لا من الجذر. أما أرباب الاشتقاق فيعرفون الأصل تعريفاً نصرياً معجمياً ويتفقون مع التصريفين في أنّ الأصل «لفظي» أي حروف خالية من الحركات والزيادة ولكن يضيفون إليه طرفاً آخر من طرفي توازنه وهو دلالة على المعنى، فالأصل المعنوي إنما يتصل بالوحدات المعجمية التي تستفزع عنه وتحمل سمته الدلالية الأولى أي المعنى العام المطلق أو المعنى المجرد. إنه «المعنى المتصرف في جميع المعاني المتصرفه منه، نحو: عين الحيوان وعين الماء وعين الذهب والميزان. والأصل منها: عين الحيوان لعموم تصرفها» (16). فتكون دائرة الاشتقاق محتوية على معنيين: معنى (1): وهو معنى الجذر الذي يتوزع على كل الفروع، ومعنى (2): وهو المعنى الخاص بكل بنية على حدة وهو يتحقق بمجموعة من المقولات الشقاقية والتصريفية (17).

(15) المرجع نفسه ص 19.

(16) المرجع نفسه ص 110.

(17) لقد درس جورج بوهاس في أطروحته : Contribution à l'étude de la méthode des grammairiens arabes en morphologie et en phonologie العنوي من جانب وبين الأصل المعنوي والبنية من جانب آخر. ولخص هذه العلاقة بالترسيمة ص 39.



انظر أيضاً: زكية السائح دحماني: «تساؤلات حول قضايا أصل الاشتقاق»، مجلة دراسات لسانية، عدد 1/1996.

تبيّن من هذين الفرعين للأصل أنّ الجذر ليس له دلالة عند التصريفيين وأنّ الدلالة المشتركة بين مجموعة مشتقاته متأثية من المشتقات لا من الجذر، وهو رأي تبناه بعض الدراسات العربية والاستشراقية الحديثة. وقد شك بعض المستشرقين في حقيقة وجود الجذر في العربية وفي وظيفته المعنوية (18) وأقره آخرون من أصل سامي لاطلاعهم على الأساس الذي تتولد به اللغات السامية، وهو توليد اشتقافيّ بالأساس (19) ويوصف الجذر - عامة - في دراسات المستشرقين بأنه مجرد تجريد أورموزحرفية غير وظيفية كما ورد في دراسات كتسنو وكوهين (20). أمّا بروكلمان فهو لا يرى فيه أكثر من طريقة ملائمة لتصنيف وحدات المعجم، وهي طريقة مصطنعة متكلفة - حسب رأيه - فلا يعدّو الجذر أن يكون عنده مجرد مجموعة صواتم خرساء.

ويقيم كتسو بين الجذر والوزن علاقة تشابك وتلاحم وتكامل. لا يوجد أحدهما تطبيقياً دون وجود الآخر. ويتج عن تقاطعهما في نقطة الالتقاء بناء مشتقات متعدّدة. فعلى الجذر والوزن يقام الاشتقاق، أما الجذر منعزلاً فهو مجرد حروف جامدة لا معنى لها، فهو حسب تعبيره «une suite consonanique abstraite».

إذا كان الجذر حسب هذا التصوّر لا وجود له دلاليّاً، وهو لا يحمل هذا المعنى المجرد المطلق قبل حدوث الحدث وصوغه، فكيف لنا أن نفسّر حينئذ أن الضارب هو الذي يقوم بحدث الضرب وأنّ المضروب هو من وقع عليه الحدث، والضرب تحقيق لحدث الضرب من المحدث في الزمن الحاضر، وضربٌ تسمية للحدث.

## 2 - في دلالة حروف الجذر على المعنى :

في حالة دلالة الجذر على المعنى : هل يدلّ عليه أحاديّاً أم ثلاثيّاً أم رباعيّاً أم أنّ الثلاثيّ يدلّ عليه بالثنائيّ والرّباعي بالثلاثي والثنائيّ ؟

(18) انظر رأي بروكلمان في مقال كتسو : Racines et schèmes, p.119.

(19) انظر : -G. Denombynés : R. Blachère et Grammaire de l'arabe classique, p. 13.

- H. Fleisch : Traité de philologie arabe, p.248

- D. Cohen : Etudes de linguistique sémitique et arabe, pp. 30 - 33, 50-54. (20)

Cantineau (Jean) : Racines et schèmes pp. 119 - 124; Idem : La notion de schème et son

altération dans diverses langues sémitiques pp.73-83.

كثير من النحاة يربطون بين اللفظ والمعنى ربطاً قوياً كما فعل ابن جنّي في «باب في تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني» (21). وقد لاحظنا ظاهرة مهمة في الدراسات الاشتقاقية القديمة تتمثل في أن النحاة يبحثون عن الصلة المعنوية بين المواد الاشتقاقية وأصوات اللغة. فالصوت الواحد قد يدلّ على معنى يستمدّه من سمة من سماته ويكسبه للجذر. هذا الموقف يجعلنا نتساءل مرة أخرى هل من صلة بين ما ننطق به من أصوات وما تحملها هذه الأصوات من دلالات؟ نتبيّن من خلال عديد الأمثلة التي ذكرها النحاة أنّ الجذر يمكن أن يدلّ على معنى في حالة اكتساب ذلك المعنى من صوت واحد. فهو يدلّ عليه أحاديّاً كما في «تنضح». فالحاء تعبّر عن فوران السائل في قوّة وعنف بينما إبدالها بالحاء «تنضح» يجعل الفعل دالاً على تسربّ السائل لكن في تودة وبطء. ومن أمثلة مناسبة الحروف للمعاني تغيير المعنى بتغيير حرف واحد من الجذر، ف«قضم» تدلّ على أكل اليابس و«خضم» على أكل الرطب. فالصوت الناشئ عن أكل اليابس تعبّر عنه القاف الشديدة بينما تناسب الحاء الرخوة الصوت الذي يحدثه أكل الرطب، فهذا النوع من الدلالة يستمدّ من طبيعة الأصوات. وقد تحدّث النحاة منذ القديم عن مناسبة اللفظ للمعنى مناسبة حتمية اكتسبها الانسان من تجاربه ومما يسمعه حوله من أصوات في الطبيعة ومحاكاة لها. ويعدّ ابن جنّي (في العربية) رائداً في مجال إبراز العلاقة الطبيعية بين الألفاظ والمعاني. فقد عقد فصولا أربعة طويلة في الخصائص (22) حاول أن يكشف من خلالها عن الصلة المعنوية القائمة بين الألفاظ ودلالاتها وبالتالي بين الجذر ومعناه. وقد توسّع ابن جنّي في فكرة مسايرة اللفظ للمعنى وأجاد في بيان اتّحاد اللفظ بالمعنى وتآلف الأصوات والمعاني، فردّ أصل أصوات اللغة إلى الأصوات المسموعة كدويّ الرّيح وخرير الماء وصهيل الفرس. وعن هذه الأصوات تولدت كلمات عديدة. وأقرّ ابن جنّي كذلك اتّفاق المعنى واللفظ فيما هو جذر ثنائيّ مستمدّ من محاكاة الأصوات إذ كثيراً ما تنتقل الأصوات المعبرة عن صوت طبيعيّ لتصبح اسماً أو فعلاً معبراً عن مصدر الصوت ونوعه أو عن صاحبه، وهو يحيل في هذه المسألة على الخليل وسيبويه اللذين قالاً باتّحاد اللفظ بالمعنى

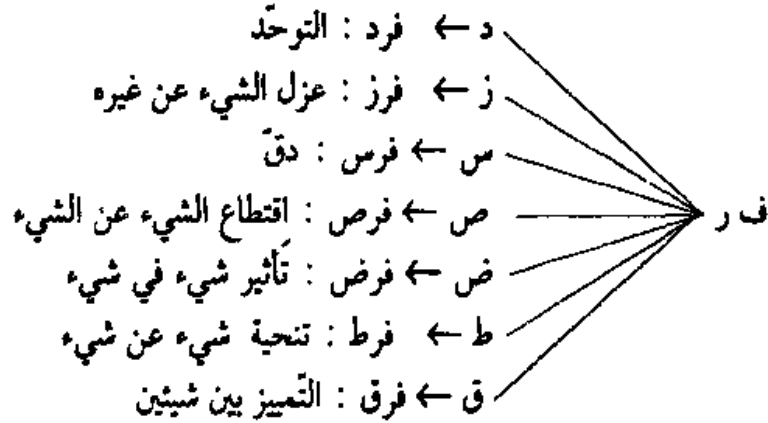
(21) ابن جنّي : الخصائص 145/2 - 152

(22) المرجع نفسه، 145/2 - 196. والأبواب هي : (1) في تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني ؛ (2) في أساس الألفاظ أشباه المعاني ؛ (3) في مشابهة معاني الإعراب معاني الشعر ؛ (4) في خلع الأدلة.



وتوليد كلمات من أصوات الحيوان. ويورد ابن جنّي أمثلة من المصادر الرباعية المضعفة استمدت معناها من الجذر الثاني والثلاثي تأتي للتكرير نحو الزعزعة والقلقلة والجرجرة والصرصرة. فالزيادة في المبنى يتبع عنها عادة زيادة في المعنى. ويعلّل الاختلاف الدقيق الذي يكتسبه الجذر الرباعي، تعليلا صوتيا جاء على لسان الخليل «فكانهم توهموا في صوت الجندب استطالة ومدًا فقالوا صرّ وتوهموا في صوت البازي تقطيعا فقالوا صرصر» (23).

ولم تقف دلالة الحرف الواحد أو الحرفين على المعنى عند محاكاة أصوات الطبيعة. فإن بعض المعجبين قد انطلق من الحرفين في ترتيب مداخل المعجم. فقد نظم أحمد بن فارس مثلا معجمه مقاييس اللغة منطلقا في ترتيب المداخل الثلاثية الحرفين الأوّل والثاني وما يثلهما. من ذلك أن الفاء والراء مثلا يعدان أصلا دالا على التمييز. أما ما يضاف إليه من لواحق تلك فتعطيه معنى جديدا مع المحافظة على المعنى العام المشترك (24).



هذه الجذور الثلاثية ليست مرادفة تماما للأصل الثاني وإن اشتملت على معنى التمييز لأنها دالة على فروقات معنى التمييز بواسطة تنوع الألف. ويتفاوت معنى الجذر

(23) ابن جنّي : الخصائص 152/2.

(24) انظر في هذا السياق ما كتب حول معاني الجذور الثنائية في العبرية وتليتها بحرف يحمل المعنى

الخاص مع المحافظة دائما على المعنى المشترك العام للجذور الثنائية، واشتراك العبرية والعربية في

نفس المعنى العام لكثير من الجذور الثنائية. ينظر مثلا : René Samuel Sirat : " Y a-t-il un

élément commun à plusieurs racines hébraïques. » In : Actes du premier congrès

international de linguistique sémitique et chamito sémitique, éd. Mouton, 1969, pp. 234 -

245.

الثانوي والجذر الثلاثي المتولد عنه بقوة الحرف الملحق أو ضعفه فالأصل (ج. ذ) الذي يدور حول معنى «الأصل» تضاف إليه حروف تثلثه فتكسبه معنى أدق من معناه الأول.

جذر ← أثل اللسان وأصل الحساب

جذع ← أصل جذع النخلة

جذل ← أصل جذل الشجرة

جذم ← أصل جذم الشيء

فالجذل أصل عام للشجر ولكنه يصبح جذعا للنخل، والعين الحلقية أقوى من اللام المذلة أو المائعة. والجذر أصل اللسان وأصل الحساب اكتسب قوته من قوة الراء المكررة والتكرار فيها سمة لا نظير لها في اللام والعين. فكل حرف زيد على الأصل الثانوي يجري على قانون التطور اللغوي بإضافة معنى جديد وبالمحافظة على اللحمة المعنوية بين الثانوي والثلاثي أو بين الثانوي والرباعي في مثل عجّ وعجمج وصلّ وصلصل ورقّ ورفرق، أو بين الثلاثي والرباعي في مثل شمل وشملل وجلب وجلبب.

وتتجلى دلالة الجذر على المعنى أيضا في الأفعال المشتقة من أدوات النفي والشرط مثل لو، ولا، فتقول لوليت لي أي قلت لولا ولاليت أي قلت لا. وتقول في اشتقاق الأفعال الجارية مجرى الحروف والحاملة لمعناها حاحيت وعاعيت<sup>(25)</sup> فيكتسب الجذر معناه من حرف واحد أي يدلّ على المعنى أحاديًا. وهذه الأمثلة كثيرة حسب ابن جنّي، وقد ألف فيها كتابا بحث فيه عمّا بين الصّوت والمعنى من التّناسب<sup>(26)</sup>.

### 3 - في حالة دلالة الجذر على المعنى : ماهي العلاقة بين دلالة الجذر ودلالة الصيغة ؟

يتحدّد معنى الكلمات الجامدة بالمواضع والاصطلاح كـ «رجل» التي هي اسم لمسمّى نوع الانسان خلاف المرأة، و«شجرة» التي تدلّ عند القدماء على كل نبات قائم

(25) لمزيد الاطلاع على الاشتقاق من الأصوات ينظر : ابن جنّي : الخصائص 34/2 ؛ السيوطي : الأشباه والنظائر 73/1 - 74 .

(26) تحدّث ابن جنّي عن كتاب ألفه في الاشتقاق من الأصوات بعنوان كتاب الزّجر، ولكنه لم يصلنا: «وقد كانت حضرتي وقتنا فيه نشطة فكتبت تفسير كثير من هذه الحروف في كتاب ثابت في الزّجر. فاطلبها في جملة ما أثبتته عن نفسي في هذا وغيره»، الخصائص 40/2 .

على ساق، و«الذي» الكلمة الدالة على الاسم الموصول. أما دلالة الكلمات المشتقة فتتحدد بمعنى الجذر أساسا وبمعنى الصيغة ثانيا. ويلزم المعنى الذي يدلّ عليه الجذر كلّ الصيغ المتصلة به. فمعنى الفهم موجود في فاهم ومفهوم ومفاهمة واستفهام... وإضافة إلى معنى الجذر تدلّ الصيغة الصرفية في فاهم وعامل وجار على معنى صرفي اشتقاقي وزنه فاعل كما تدلّ «فهم» اشتقاقياً على معنى حدث الفهم ومفهوم على معنى ما يتحقق به هذا الحدث. فالكلمة المشتقة تحمل معناها من معنى جذرها ومعنى صيغتها التصريفية الاشتقاقية في آن واحد. وهو ما يذكرنا بنظرية تقاطع الجذر والوزن لبناء الكلمة التي تحدث عنها كتسو، غير أنّ الجذر عنده جامد لا يحمل دلالة. هذه المسألة التصريفية الاشتقاقية درسها النحاة العرب القدامى وسماها ابن جنّي «إساس الألفاظ أشباه المعاني» (27). فالألفاظ تكتسب معنى مخصّصاً من النمط الصيغي الذي تنضوي تحته كدلالة صيغة «فعلان» على الاضطراب كالغليان والفوران، عند سيبويه ومن أتى بعده. وكدلالة صيغة الفعلة على التكرير في الصّوت والحدث كصرصره الجندب. وتفيد صيغة الفعلى السرعة مثل الجَمْزَى.

إلا أنّ إمكانية قبول الجذر لصيغة أو عدم قبولها يعود إلى معنى الجذر في ذاته. فالأوزان أشكال يُسكب فيها ما أمكن من الجذور وما يسمح به معنى تلك الجذور. إنّها توظف للجذور ولا تكتسب الجذر معنى. مثال ذلك :

أ - (ن.و.م) + تفاعل ← تناوم : التظاهر : أي جعل الفاعل يظهر على حالة الحدث وهو حدث مفرد. والجذر الذي يعبر عن حدث مفرد لا يمكن أن يدلّ على معنى التشارك إذ كلّ فرد يتظاهر بالنوم بمفرده دون أن يشارك غيره في نفس الحدث.

ب - (خ.ص.م) + تفاعل ← التخاصم : التشارك : أمكن بناء تفاعل بمعنى تشارك لأنّ الجذر لا يسمح بمعنى التظاهر لتعدد فاعل تفاعل في هذا السياق. فلا يمكن أن يدلّ على التظاهر لأنّ الجذر قابل للتعدد لا للإفراد.

(27) ابن جنّي : الخصائص، 152/2 - 168.

ج - (ع. ل. م) + استفعل ← استعلم : طلب الشيء : وهو معنى يستمده  
الوزن من طبيعة الجذر . فمعاني استفعل متعددة تتحدّد بنوع الجذر  
الذي تتعامل معه .

هـ - (ح. س. ن) + استفعل ← استحسن : وجود الشيء على حالة : الجذر  
(ح. س. ن) يدلّ على الصفات كاستقبح واستهجن فلا يبنى من  
استفعل إلا في هذا المعنى .

و - (خ. ف. ق) + فعَلان ← خَفَقان : التعبير عن حركة أو اضطراب : لا  
يمكن لجذر مثل (ك. ت. ب) أن يصاغ منه مصدر على وزن  
فعلان لأنّ الجذر يدلّ على العمل لا الاضطراب . بينما يدلّ  
جذر (خ. ف. ق) على الحركة والاضطراب معا .

وإنّ ما قيل حول الأوزان المزيدة بسحب أيضا على الأوزان المجرّدة وعلى أوزان  
الأسماء . فحركة العين في الماضي المجرد تدلّ على العمل والحركة والنشاط في فعل ، بينما  
تغلب على فعل وفعل العيوب والصفات والأمراض فتصرف مع جذور دون أخرى .  
وقد نظرنا في مادة (ع. ر. ب) في لسان العرب . وهو جذر للصفات وللتحوك من حالة  
إلى أخرى ولا يعبر عن حركة فيزيائية . لذلك كانت الأفعال المجرّدة المشتقة من مادة  
(ع. ر. ب) مكسورة العين أو مضمومتها .

عرب يعرب : فصّح

عرب : صار لسانه عربياً

عرب : إذا فصّح بعد لكنة في لسانه

عرب : أصيب بتخمة

عرب الجرح : فسد

عرب الجرح : بقي فيه أثر بعد البرء

أمّا إذا نظرنا في جدول المشتقات الاسمية ، فنلاحظ أنّ الحانة الخاصة باسم الفاعل  
واسم المفعول المتصلّين بالأوزان : افعلّ وافعالّ وافعول تبقى شاغرة لأنّ الجذر  
(ح. م. ر) مثلاً و(ح. د. ب) يدلّان على الألوان والعيوب والصفات فتصاغ منهما  
الصفة المشبهة دون اسم الفاعل واسم المفعول : وهذا الحكم لا يفرضه الوزن بل يفرضه

طبيعة الجذر :

- (ح.م.ر) + اسم فاعل متصل بالوزن افعال ← ∅
  - (ح.م.ر) + اسم مفعول متصل بالوزن افعال ← ∅
  - (ح.م.ر) + صفة مشبهة متصلة بالوزن افعال ← مُحَمَّر
  - (ح.د.ب) + اسم فاعل متصل بالوزن افعول ← ∅
  - (ح.د.ب) + اسم مفعول متصل بالوزن افعول ← ∅
  - (ح.د.ب) + صفة مشبهة متصلة بالوزن افعول ← مُحَدَوِّبٌ
- يمكن أن نستنتج من هذه الأمثلة القليلة أن دلالة الصيغة من دلالة الجذر.

#### 4 - الاشتراك الدلالي في الجذر الواحد : هل للاشتراك

#### والترادف صلة بالجذر أم بالاستعمال ؟

يعرف السيوطي الاشتراك الدلالي بأنه «اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر دلالة على السواء عند أهل تلك اللغة» (28). وحاجة اللغة إليه ضرورية «لأن المعاني غير متناهية والألفاظ متناهية فإذا وزع لزم الاشتراك» (29)، فالجذر الواحد تعدد معانيه وتختلف حسب السياقات التي فيها يستعمل إذ لولا تنوع الاستعمال لما تنوع معنى اللفظ. وكمثال على الاشتراك يورد السيوطي كلمة «خال» التي تعني أخت الأم كما تطلق على الشامة في الوجه وعلى السحاب وعلى البعير الضخم وعلى الأكمة الصغيرة. فالاشتراك الدلالي ظاهرة من مظاهر الاتساع الدلالي ووسيلة من وسائل إثراء المعجم. والمشارك حامل للفظ الأصل ومخالف لمعناه ولكن تبقى بينهما علاقة ترابط دلالي. تمثل لهذه الظاهرة بالجذر (ع.ي.ن) الذي يفيد المعاينة والإبصار، ويكون حقلاً دلاليًا ضخمًا تحتل فيه الكلمة معاني متعددة يمكن أن تضرع إلى حقول دلالية داخلية. وسنتبع الترتيب الوارد في لسان العرب والمزهر (30). فما يطلق على عين من (ع.ي.ن) يقسمه السيوطي إلى

(28) السيوطي : المزهر في علوم اللغة وأنواعها، 369/1. ولزيد التعمق في مسألة المشترك ينظر :

الأزهر الزناد : «مراتب الاتساع في الدلالة المعجمية»، مجلة المعجمية، العددان 9-10 (1993) -

(1994)، ص 169 - 199.

(29) السيوطي : المزهر، 369/1.

(30) المرجع نفسه، 371/1 - 375.

قسمين أحدهما يدلّ على البصر وثانيهما يدلّ على معانٍ مختلفة.

(1) العين : البصر. النَّظَرُ : جاءها الاشتراك من وجهين : الاشتقاق، والتشبيه.

أ - بالاشتقاق (عن الحقيقة) :

- العين (الإصابة بالعين : الحسد)،
- العين : أن تضرب الرجل في عينه،
- العين : المعاينة،
- العين : أهل الدّار (لأنهم يعاينون)،
- العين : المال الحاضر،
- العين : الشيء الحاضر.

ب - بالتشبيه (عن المجاز) : معانٍ مشبهة بالعين لشرفها :

- العين : الجاسوس،
- عين الشيء : خياره،
- العين : الرّيثة (الذي يرقب القوم)،
- عين القوم : سيدهم،
- العين : واحد الأعيان (وهم الإخوة الأشقاء).
- العين : الحرّ.

(2) العين : ما لا يرجع إلى الباصرة :

- الدينار،
- اعوجاج في الميزان،
- عين القبلة،
- سحابة تأتي من ناحية القبلة،
- مطر أيام كثيرة لا يُقلع،
- طائر،
- عين الرّكبة (نقرة في مقدمها)،
- عين الشمس

- عين المَاء .

- عين كل شيء : ذاته .

أما عن دلالة الجذور المتعددة عن معنى واحد أو اختلاف اللفظ واتفاق المعنى وهو الترادف، فقد عجت المعاجم بالأمثلة وخاصة في أسماء الجنس . فتشارك رفق ورفنا ولحظ وحادج في الدلالة على حدث النظر وازد طبعا، لكن مع اختلاف في طريقة النظر، وهذه الفروق الدقيقة لا تثيرها المعاجم بل تبرزها النصوص أي الاستعمال بينما يقوم الترادف الحقيقي على شرط الاتحاد التام في المعنى وإمكانية تبادل الصيغ فيما بينها رغم اختلاف جذورها .

هذا النوع من الترادف يستبعده عدد من النحاة والدارسين . يقول ابن السراج في رسالة الاشتقاق «وحكي لي عن أحمد بن يحيى أنه قال : لا يجوز أن يختلف اللفظ والمعنى واحد، وهو في هذا القول أبعد ممن قال إنه لا يجوز أن يتحقق اللفظ ويختلف المعنى» (31) . وينكر أبو هلال العسكري في كتابه التلخيص في معرفة أسماء الأشياء، الترادف ويعتبره تدقيقا من اللغة العربية في إسناد المعاني للجذور، «فأرسل» لا ترادف في نظرة «بعث» و«ارفضوا» تعني رفض بعضهم بعضا بينما تفيد انفضوا تباينوا . فالرفض والتباين ليسا من باب الترادف . ويدقق أبو هلال العسكري في بيان هذه الفروق الجزئية التي بها يختلف المعنى تدقيقا كبيرا فأول النوم هو الوسن والسنة والنعاس، والنوم هو الهجود والهجوم والرقاد والتهميم، والإغفاءة هي التومة الخفيفة .

ويدو إبراهيم أنيس مشككا في مذهب الاشتقاقيين لإيرازهم العلاقة المعنوية بين المشتق والمشتق منه . فهو يرى أن طريقة التقليبات الخليلية التي بني عليها معجم العين ومنهج ابن جنّي في الاشتقاق الأكبر بتوليد جذور جديدة من جذر أصلي عن طريق تغيير محلات صواتم الجذر، وطريقة ابن فارس في ترتيب معجمه على ما بين الجذور والمشتقات من رابط معنوي، هي مجرد طرق إحصائية وقسمة عقلية، وقد اكلّفهم هذا الصنيع من العنت والمشقة قدرا كبيرا» (32)، كما يرى في استنباط الصلات بين الألفاظ

(31) السراج : رسالة الاشتقاق : «باب ما يجب على الناظر أن يتوقاه ويحترس منه»، ص 33 .

(32) إبراهيم أنيس : دلالة الألفاظ، ص 67 .

ودالاتها عند الاشتقاقيين بصفة خاصة مغالاة وإسرافا في الحكم وأحيانا تعسفا وتكلفا في البحث عن الصلة بين اللفظ ودلالته. وتبدو المبالغة حسب ابراهيم أنيس عند ابن فارس حيث يسوق المادة اللغوية ويحمل لها أصلا عاما تدرج تحته عدة كلمات لكل منها معنى خاص، ولكنها مع ذلك تشترك جميعا في دلالة عامة تجمع بينها أو تؤلف بينها. وفي بعض الأحيان يسوق للمادة الواحدة أصليين عامين أو ربما ثلاثة أصول عامة ويندرج أيضا تحت كل أصل مجموعة من الكلمات التي تختلف في معانيها الخاصة وتشترك جميعا في معنى عام<sup>(33)</sup>. ولكن ابن فارس لم يختص بالقول بنظرية الأصل الحامل للمعنى، وما بين الدال (ض. ر. ب) والمدلول (المعنى المطلق العام للضرب) من علاقة. فقد قال بها معاصره ابن جنّي الذي فصل في التصريف الملوكي بين مفهوم الأصل عند التصريفيين ومفهومه عند الاشتقاقيين. وقد وسّع ابن يعيش شارح التصريف الملوكي الأصل عند أرباب الاشتقاق إلى أصل لفظي وأصل معنوي. فاللفظي - كما سبق أن فسّرنا - هو عبارة عن الحروف المشتركة بين كل المشتقات والتي لا تدخل ضمنها الزوائد التصريفية والاشتقاقية، والمعنوي هو المعنى المطلق الذي تحمله الحروف الأصول عند التلقظ بصواتم الجذر (ض. ر. ب). هذا التصريح الثاني للأصل إنما مرده ما تبينه القدامى، وأبنته الدراسات اللسانية الحديثة من وطيد العلاقة بين الاشتقاق واللغة أو المعجم - فقد عدّ الاشتقاق عند بعض النحاة العلم الملحق بالتصريف وعدّ عند البعض الآخر أقرب إلى اللغة - أي المعجم - منه إلى التصريف<sup>(34)</sup> لأنه يتعامل مع الألفاظ وما تحمله من معانٍ مختلفة باختلاف الصيغ. فدلالة الجذور من المعجم، فهي وحدات معجمية خام أو أولية لا يتبين معناها إلا بممارسة اللغة العربية. فما هو وظيفي معنوي في الجذر، أي ما يفهم عند التلقظ بالصواتم (ض. ر. ب) يصبح عند غير مستعمل اللغة اعتبارا إذ ليس ضمن خصائص الأصوات المكوّنة للجذر (ض. ر. ب)، عند من لا يتقن العربية، ما يؤهلها سلفا للتعبير عن متصور ذهني - هو «مفهوم الضرب» - يختلف التعبير عنه تماما في

(33) المرجع نفسه، ص 67.

(34) يقول ابن جنّي في النصف ص 4 «إلا أنّ التصريف وسيطة بين النحو واللغة يتجاذبان، والاشتقاق أقدم في اللغة من التصريف كما أنّ التصريف أقرب إلى النحو من الاشتقاق».



الفرنسية باستعمال أصوات مكوّنة للجدع «Frappen». فمعنى الجذر في العربية إنّما هو هذا التماثل الدلالي بين الدال (ض. ر. ب) والمدلول (حدث الضرب). هذه العلاقة الترابطية ليست من باب التماثل الصوتي مع المدلول. وليس الربط تلقائياً طبيعياً وإنّما هو ربط فرضه الاستعمال. فهو ربط من اللفظ والكلام لا من اللغة، واعتباطية الجذر كدليل أو علامة إنّما هي في المطلق والنشأة لا في الاستعمال والمتهى (35).

الجذر عندنا وظيفي دلاليّ حامل لمعنى. ورغم عدم انتمائه إلى بناء معين وخلوه من الحركات التي هي جزء لا يتجزأ من الدلالة على المعنى، ومن حروف الزيادة الاشتقاقية والتصريفية، فهو ليس جامداً خالياً من الدلالة وليس هيكلاً بدون روح. إنّما يدلّ على المعنى وما الأوزان والحركات والزوائد إلاّ توابع له تساهم في إثراء حقله المعجمي وتوسع مشتقاته.

#### زكية السائح دحماني

كلية الآداب بمنوبة - جامعة تونس الأولى

---

(35) أنظر صالح القرماذي : أمهات نظريات فاردينان دي سومير، ص 364.

## المصادر والمراجع

### (1) العربية :

ابن جنّي (أبو الفتح عثمان) : المنصف في شرح تصريف المازني، تحقيق إبراهيم عطفي وعبد الله أمين، مكتبة مصطفى البابلي الحلبي، القاهرة، 1954-1960 (3 أجزاء).

الخصائص : تحقيق محمد علي النجار. ط. 2. دار الهدى بيروت (3 أجزاء).  
ابن عصفور (أبو الحسن الإشبيلي) : المتع في التصريف، تحقيق فخر الدين قباوة. ط. 4، دار الأفاق الجديدة بيروت، 1979 (جزآن).

ابن فارس (أبو الحسن أحمد) : معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجليل، بيروت، 1991 (6 أجزاء).

ابن يعيش (موفق الدين) : شرح الملوكي في التصريف، تحقيق فخر الدين قباوة، المكتبة العربية-حلب، 1973.

أنيس (إبراهيم) : دلالة الألفاظ، ط. 3، مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة، 1972.  
الجرجاني (الشريف علي بن محمد) : التعريفات، ط. 3، دار الكتب العلمية بيروت. 1988.

دي سوسير (ف) : دروس في الألسنية العامة، تعريب صالح الفرماذي ومحمد الشاوش ومحمد عجينة، الذر العربية للكتاب، تونس، 1985.

السراج (أبو بكر محمد بن السري) : رسالة الاشتقاق، تحقيق محمد علي الدرويش ومصطفى الحلدي، منشورات دار مجلة الثقافة بدمشق، 1973.

سيويه (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر) : الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، عالم الكتب بيروت، (5 أجزاء).

السيوطي (عبد الرحمان جلال الدين) : المزهري في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق محمد أحمد جاد المولى وعلي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، بيروت (جزآن).

المكبري (أبو البقاء) : مسائل خلافة في النحو، تحقيق محمد خير الحلواني، دار

الشرق العربي، بيروت، 1992.

الفرمادي (صالح) : أمهات نظريات فاردينان دي سوسير، ضمن : دروس في الألسنية العامة لفردينان دي سوسير، ص ص 349 - 368.

(2) الأجنبية :

Bohas (G) : *Contribution à l'étude de la méthode des grammairiens arabes en morphologie et en phonologie, d'après les grammairiens arabes tardifs*. Thèse de doctorat d'Etat. Paris 1979 (dactylographiée).

Cantineau (J) : Racines et schèmes. in *Mélanges William Marçais*. éd. Maisonneuve, Paris, 1950, pp. 119-124.

— La notion de schème et son altération dans diverses langues sémitiques, in *Sémitica III*, 1950, pp. 73 - 83.

Cohen (David) : *Etudes de linguistique sémitique et arabe*, éd. Mouton The Hague - Paris, 1970.

Demombynes (G.) et Blachère (R.) : *Grammaire de l'arabe classique*, Maisonneuve, Paris, 1975.

Fleisch (Henri) : *Traité de philologies arabe*. Dar El-Machreq, Beyrouth, 1961-1978 ( 2 vols).